ملخص كلمة

القسِّ الدكتور أندريا زكي(*)

فضيلةَ الإمامِ الأكبرِ الدُّكتورِ أحمد الطَّيِّب، شيخِ الأزهرِ، ورئيسِ مجلسِ حكماءِ المسلمينَ. ملخص كلمة القسِّ الدكتور أندريا زكي

أصحابَ الفضيلةِ والقداسةِ والغبطةِ، الحضورُ.

السَّيِّداتُ والسَّادةُ...

اسمحوا لي -فضيلةَ الإمامِ الأكبرِ- أن أتقدَّمَ لكم وللسَّادةِ أعضاءِ مجلسِ حكماءِ المسلمينَ، وقياداتِ الأزهرِ الشَّريفِ، بخالصِ الشُّكرِ والتَّقديرِ على دعوتِكم الكريمةِ لنا للمشاركةِ في فعَاليَّاتِ هذا المؤتَمَرِ الدَّوليِّ الَّذي يَطرَحُ موضوعًا يَشغَلُ فِكرَ كلِّ من يَبْحَثُ عن مستقبلٍ أفضلَ لشعوبِ العالَمِ، ألا وهو «الحرِّيَّةُ والمُواطَنَةُ.. التَّنوُّعُ والتَّكاملُ».

السَّيِّداتُ والسَّادةُ الحضورُ.

الوضعُ الرَّاهنُ أصبحَ شديدَ الحساسيةِ، والمرحلةُ التي نمُرُّ بها دقيقةٌ للغايةِ، حيثُ أخذت أصواتٌ متطرِّفةٌ في الارتفاعِ، وصاحَبَتْها موجاتٌ من التَّمييزِ ورفضِ الآخَرِ، ممَّا نتجَ عنه انصياعُ البعضِ نحوَ عنفٍ وعنفٍ متبادَلٍ؛ ممَّا جَعَلَ الكثيرينَ يعانونَ من الوضعِ الحاليِّ للمنطقةِ.

في هذا السِّياقِ أوَدُّ أن أؤكِّدَ أنَّنا نحتاجُ لفكرٍ دينيٍّ جريءٍ، يقومُ بتطويرِ المجتمعِ ومخاطبةِ الآخَرِ وقبولِه، فالفكرُ الدِّينيُّ الَّذي لا يطوِّرُ المجتمعَ، ولا يحترمُ الآخَرَ

ويقدِّرُه، ولا يَقدِرُ على فهمِ النَّصِّ، ولا يُلمُّ بثقافةِ اللَّحظةِ، أو مخاطبةِ الشَّبابِ والعامَّةِ، ويدعو للفتنِ والصِّراعِ والتَّحزُّبِ، لا يعبِّرُ عن صحيحِ الدِّينِ الَّذي اجتمَعْنا هنا لندعوَ إليه.

فمبادئُ الدِّينِ في الإسلامِ والمسيحيَّةِ على حدٍّ سواءٍ تدعو للعيشِ المشتَرَكِ، وتؤكِّدُ على أهمِّيَّةِ التَّنوُّعِ، فتنوُّعُ الخليقةِ والإعلانِ الإلهيِّ، وتنوُّعُ الجنسِ البشريِّ يمثِّلان قيمةً مضافةً لأسبابِ العَيشِ المشتَرَكِ، كما أنَّ التَّوجُّهَ لإقصاءِ الآخَرِ، أو القضاءِ عليهِ في بعضِ الأحيانِ، يتعارَضُ تعارُضًا تامًّا مع سماحةِ الدِّينِ، كما يتعارَضُ مع المواثيقِ الدُّوليَّةِ لحقوقِ الإنسانِ، فعلى المستوى الفقهيِّ واللَّاهوتيِّ -وكذلكَ السِّياسيُّ والاجتماعيُّ- فإنَّ العيشَ المشتَرَكَ لا يقفُ فقط عند حدودِ الأرضيَّةِ المشتَرَكةِ، لكنَّه يمتدُّ إلى حقِّ الاختلافِ، ومع القواسمِ المشتَرَكةِ وحقِّ الاختلافِ يُصبِحُ للعَيشِ المشتَرَكِ دَلالةٌ ومعنًى.

لذا أصبحَ من الضَّروريِّ تدعيمُ فكرةِ العيشِ المشتَرَكِ؛ فعمليَّةُ إعادةِ الهيكلةِ السِّياسيَّةِ والاجتماعيَّةِ الَّتي مرَّتْ بها المنطقةُ أخذتْ توازناتِ القوى إلى مرحلةٍ جديدةٍ؛ ممَّا جعلَ إمكانيَّةَ الصِّراعِ عاليةً، فمع أنَّ حقَّ الاختلافِ ضروريٌّ، إلَّا أنَّ تصعيدَ الخلافِ، والدَّفعَ نحوَ صراعاتٍ جديدةٍ على أساسٍ دينيٍّ أو إثنيٍّ أو ثقافيٍّ هو خطرٌ شديدٌ.

ويجدُرُ القولُ بأنَّ التعدُّديَّةَ أساسٌ هامٌّ للعَيشِ المشتَرَكِ؛ فكلٌّ من الدِّينِ الإسلاميِّ والمسيحيِّ يؤكِّدُ على أهمِّيَّةِ التَّعدُّديَّةِ كأساسٍ للبقاءِ والتَّنوُّعِ، وعلى المستوى

السِّياسيِّ والاجتماعيِّ والثَّقافيِّ، فإنَّ التَّعدُّديَّةَ هي الأرضيَّةُ الصُّلبةُ، وحينما تغيبُ يتولَّدُ الصِّراعُ وتتعمَّقُ الطَّبقيَّةُ، وتُصبحُ الأُحاديَّةُ والهيمنةُ أساسَ الوجودِ؛ لذا من الضَّروريِّ وجودُ أرضيَّةٍ تُمارَسُ فيها التَّعدُّديَّةُ على مستوى الهُوِيَّةِ، ممَّا يُساهمُ في السَّلامِ الاجتماعيِّ والعَيشِ المشتَرَكِ، فلا سلامَ ولا تقدُّمَ ولا عيشَ مشترَكَ بدونِ التَّعدُّديَّةِ.

في هذا السِّياقِ يكونُ لدينا مفهومٌ جديدٌ للولاءِ بمفهومِه الأوسعِ، بشكلٍ يُشجِّعُ الفكرَ الَّذي يتقبَّلُ الأفكارَ الأخرى، ويؤمنُ بالتَّعدُّديَّةِ والتَّنوُّعِ، ومن هنا سوف يُساهِمُ الولاءُ التَّعدديُّ في تقويةِ المجتمعِ، كما أنَّ العقيدةَ السِّياسيَّةَ الَّتي تُنتِجُ مِثلَ هذا المفهومِ للولاءِ سوفَ تفتحُ طريقًا للتَّفاعلِ بين العقيدةِ والمجتمعِ بطريقةٍ تُرسِّخُ المُواطَنةَ؛ فالمُواطَنةُ ليست هي الدِّينَ، وإنَّما الدِّينُ شريكٌ في صياغتِها، وهكذا ستُسهِمُ الوَلاءاتُ المتعدِّدةُ في تثبيتِ دعائمِ المُواطَنةِ.

هذه الوَلاءاتُ المتعدِّدةُ تُسهِمُ أيضًا في إعادةِ تنظيمِ الهُوِيَّةِ؛ لذا من الضَّروريِّ تواجدُ فكرٍ ثقافيٍّ يَعتبرُ الالتزاماتِ الدِّينيةَ ضمنَ مكوناتِ منظومةِ الهُوِيَّةِ، غيرَ أنَّ هذا المفهومَ المَرِنَ والنسبيَّ للهُوِيَّةِ يحتاجُ إلى فكرٍ دينيٍّ يؤمنُ بأنَّه لا يوجدُ من يَمتلِكُ الحقيقةَ المُطلَقةَ بمفردِه، وفي هذا السِّياقِ تُصبِحُ التَّعدُّديَّةُ ذاتَ جُذورٍ عميقةٍ في السِّياقِ الدِّينيِّ، ولتشجيعِ الفكرِ الدِّينيِّ الَّذي يعترفُ بالوَلاءاتِ المتعدِّدةِ والهُوِيَّةِ التَّعدُّديَّةِ، وكذلك يتجاوَزُ امتلاكَ الحقِّ المُطلَقِ بمفردِه، يجبُ توافرُ تفسيراتٍ متعدِّدةٍ للنُّصوصِ الدِّينيَّةِ.

إنَّ التَّعدُّديَّةَ الَّتي تُمارَسُ في سياقٍ من الشُّموليَّةِ تخلقُ تماسكًا، وتتجاوزُ الانقساماتِ التَّقليديَّةَ، وتشجِّعُ تنميةَ المجتمعِ المدنيِّ والدِّيمقراطيةَ، ومِن ثَمَّ يتحقَّقُ التَّماسكُ بين جماعاتِ المجتمعِ المختَلِفةِ.

والتَّماسكُ هنا مفهومٌ اجتماعيٌّ واقتصاديٌّ وثقافيٌّ وسياسيٌّ ودينيٌّ، يتمَّكنُ المجتمعُ المدنيُّ من خلالِه من هيكلةِ وتنظيمِ النَّاسِ في كِياناتٍ جديدةٍ ومختلفةٍ بأهدافٍ جديدةٍ، وترسيخِ قدرٍ من التَّماسكِ والتَّضامنِ، يتجاوزُ الانقساماتِ التَّقليديَّةَ.

وفي هذا السِّياقِ نُعرِّفُ المُواطَنةَ بأنَّها: «عمليةٌ شاملةٌ تتجاوَزُ المساواةَ لتصلَ إلى العدالةِ بواسطةِ ربطِ الحقوقِ السِّياسيَّةِ بالحقوقِ الاقتصاديَّةِ والاجتماعيَّةِ والثَّقافيَّةِ»، والمُواطَنةُ تُعزِّزُ التَّعدُّديَّةَ عن طريقِ الانتماءاتِ المتعدِّدةِ و«مؤسَّسةِ الهُوِيَّةِ»، ولكونها ديمقراطيَّةً بطبيعتِها فهي تتجاوزُ الوَلاءاتِ العِرقيَّةَ والنَّوعيَّةَ؛ فالمُواطَنةُ هي المفهومُ الأشملُ الَّذي يَضُمُّ الحقوقَ الاجتماعيَّةَ والثَّقافيَّةَ والاقتصاديَّةَ، وهذه الحقوقُ -بالاستنادِ إلى الدِّيمقراطيَّةِ- هي الَّتي تَبني المجتمعَ.

إنَّ المُواطَنةَ تتجاوَزُ المساواةَ، لكنَّها ترتبطُ بالأَحرى بالعدالةِ، ولتحقيقِ مُواطَنةٍ فعَّالةٍ يستلزمُ الأمرُ توافُرَ قوانينَ مكتوبةٍ، ومنظَّماتٍ تقومُ على تطبيقِ هذه القوانينِ، وكذلك تَحميها.

ونهايةً، أودُّ أن أُكرِّرَ شكري لكلِّ مَن دعا لهذا اللِّقاءِ، ولِمَن رتَّب له، ولِمَن شارَكَ فيه، فجميعُنا هنا نسعى من أجلِ التَّقاربِ وإعلاءِ مبادئِ الدِّينِ من محبَّةٍ ورحمةٍ وسماحةٍ.